

تجليات التاريخ وسلطة تبئير الحدث
عند "عبد الحميد بن هدوقة"

*The manifestations of history and the authority to focus the event upon
Abdelhamid Ben Hadouga*

الدكتورة : فطيمة الزهرة حفري،
-جامعة الشهيد حمّة لخضر-الوادي(الجزائر)
fatimazohofri@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/01/21 تاريخ القبول: 2020/08/15 تاريخ النشر: 2020/11/30

ملخص: تنحاز الرواية الجزائرية عموما وروايات "عبد الحميد بن هدوقة" خصوصا انحيازاً تاريخياً، فتصنع من خلاله دلالات تحريضية تجبر المحلل على الوقوف أمامها لاستنطاقها، وها نحن نسعى في هذا المقال لإدراك هذه المحتويات السردية التاريخية التي تعبق بالماضي الجزائري فتجعل إحياء تاريخه لقاء طريفاً، يحرك دوايب الفكر، ويقينا منا بهذه الأهمية يضطلع التاريخ الجزائري مطلباً عزيزاً وهدفاً نناشد التعمق فيه عبر خطوط سردية نسجت لتروي الحدث البؤرة، وعليه موضوع هذا المقال، هو محاولة كشف تلك الأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الثورة - الدلالات - الاستنطاق - السرد - الاستشراف - الحدث.

Abstract:

The Algerian novel, in general, and the novels of "Abdel Hamid Ibn Hadouga", in particular, are biased historically, and through it they make inflammatory indications that compel the analyst to stand in front of them to interrogate them. Thought, and it protects us of this importance, the Algerian history carries with it a dear demand and goal, which we appeal to delve into in depth through narrative lines woven to narrate the focus. And on the subject of this article, is an attempt to reveal those historical events.

key words: Revolution - connotations - interrogation - narration - outlook - event.

تصدير:

إنّ النزوع الدلالي التاريخي أصيل في الإنتاج الروائي الجزائري أكثر من غيره «فقد تنبه لوكاتش حين حدد بشكل عام محتوى الرواية بقوله: الطريق الذي يقود الإنسان إلى التعرف على نفسه».(1) ومن ثمة التعرف على مجتمعه وتاريخه المشترك. وفي خطوة منا نسعى من خلالها لإدراك الماضي الجزائري، التاريخ، عبر ما انحازت له الرواية "غدا يوم جديد" لـ"عبد الحميد بن هدوقة" فاخياره للتاريخ «مادة للشراكة الفنية تحريض ضمني على استنطاق الوظائف والدلالات أكثر من الأبعاد الأخرى».(2) فالتاريخ في هذه الرواية يعكس لقاء تحفيزيا يعزز لدينا معاول التنقيب، إذ يحرك فكرنا تحريكا استشرافيا.

وهو ما يذكرنا بأهمية التاريخ عنده وقد أشار إلى هذه الأهمية "عبد الله العروي" في كتابه "مفهوم التاريخ كونه «مطلب عزيز وهدف مخاتل بكثرة أسمائه وسمياته».(3) وهي رؤية خلدونية أكدها في مقدمته «اعلم أن فن التاريخ، فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياساتهم».(4)

استنطاق الحدث من رحم الراهن:

تتفرد الروايات التي بين أيدينا بأحداث تفوق مستوى الأهمية، لما لها من تفعيل إيديولوجي، مهدت هذه الأحداث بتعددتها واختلاف أسبابها في جعل روايات "عبد الحميد بن هدوقة" تقوم على مصوغات أيديولوجية، يسعفنا الدال العنوان في تحديد أبرز حدودها، إذ يعتبر العنوان الروائي عند "بن هدوقة" أول مناورة لا بد أن يتجاوزها المحلل ليعانق الجوانب البراقة والمظلمة التي تلبس عوالم المجهول، لتمنحنا جملة من الفرضيات لا تنفصل عن جوهر الرواية، إذ تمهد هذه الفرضيات طريق الخلاص الذي يربط بين ما هو مكتوب وما يتطلع إلى تحقيقه هذا المكتوب، ومن الشائق أن الوصل بينهما كان وصلا إيديولوجيا يستكنه جواهر الإبداع.

لقد ارتبطت روايات "عبد الحميد بن هدوقة" بأحداث، كانت لها الحظوة في تعبيد طريق الإبداع عند الروائي، ليتطلع من خلالها القارئ لما يرى حوله ، وما يمكن له أن يحدث

فيما بعد، ارتبطت الأحداث بالهجرة والزواج المبكر وظاهرة التمدن والحضارة، كما أحالت في أكثر من مرة إلى النزعة الفرويدية الشهوانية الجنسية، لتعري فترة المراهقة والتي يعتبرها علماء الاجتماع وعلماء النفس على حد سواء من المراحل الحرجة "الصعبة" التي استفاق على آثارها ومخلفاتها الأهالي، كما تناشد هذه الروايات بأحداثها مقولة "جورج لوكاتش" G.Lukats "الداعمة لفكرة استنطاق التاريخ؛ إذ «يعتبر جوهر العمل الروائي عن ذاته يقول الروائي نظريا ما يقول المؤرخ، اتكاء على جوهر إنساني عصبي على الثبات، يستقيم زمنا في انتظار انحناء، لا هروب منه»⁽⁵⁾.

تسامى "بن هدوقة" في نقل أحداث راهنة، وأخرى تاريخية بعين إيديولوجية، ولقد لهث الخيال الروائي في جعلها معطيات موروثية، تأخذ بيد المحلل إلى أزمنة متعددة وظروف متنوعة، بل إلى أنواع بشرية استدعت الأسطورة أبرز أليائها، ومن ثمة تأتي روايات "عبد الحميد بن هدوقة" لتبرز « رغبة جامحة في تجاوز اللحظة الراهنة واستشراف المستقبل، فالأديب ليس عرافا ولا منجما، لكنه إنسان قد أوتي من الحس والحدس والتركيبية المزاجية والثقافية الخاصة ما يجعله يتفرد عن غيره، تظل إحدى قدميه في الواقع، والأخرى في المستقبل، يستشرف آفاقه ويتنبأ ببعض ما فيه»⁽⁶⁾، يتقاسم هذا الدور مع المحلل إذ «يحاول هوس الذاكرة البحث عن مفاتيح أخرى تساعد على استنطاق صمت النص»⁽⁷⁾ في صورة تضارع الوظيفة الكشفية التي تراهن على العلاقة القائمة بين النص الروائي والعالم الخارجي، يتم من خلال هذه الوظيفة توسط المرجع الذي بإمكانه أن يرفع الستار، ليكشف الحجب عما يريد تبليغه المبدع.

يلحظ القارئ الحذق الذي حضى بنسخ روائية "لعبد الحميد بن هدوقة" قدرة المبدع على التنصل من المعنى الذي رجاه، في محاولة تغييب الدلالة وجعل هذا القارئ يتطلع بين الفينة والأخرى لإمكانية بوح المبدع.

الذي راح يتخفى وراء أحداث شهدتها الجزائر قبل الاستقلال وبعده، فعجت رواياته بالبحث عن الكنز المفقود، الذي تستجمع مجموعة من الشفرات لتؤكد على صحة مكانه ووجوده، فراح يبحث مرة أخرى في الراهن الجزائري الذي عاش على وقعه المجتمع، هذا الأخير الذي يتجلى في مرحلة ما، ظاهرة الغيبيات والدروشة والخرافات والبعد، راح يشق طريقه نحو أهداف استعمارية، كان لها القرار في إبعاد الشعب عن السلطة وتقرير المصير، فزودتهم بالروحانيات وألهبت لديهم الشوق لحضور "الزردة"، وإقامة "الحضرة" وزيارة الأولياء الصالحين، وما يصاحب هذه الزيارة من اختلاط ومحرمات رغم وجهها التقليدي، كما راح "بن هدوقة" في صمت يفتح باب التاريخ، ليطل على الممارسات الفرنسية التعسفية في حق شعب

أعزل، وفيه إشارة ملحة لسياسة التجنيد الفرنسي في حربها ضد الألمان، وكيف لها أن بعثت بشباب الجزائر إلى محرقة يعد الناس منها أسطورة.

إنّ اهتمام "بن هدوقة" بهذه المواضيع وأخرى، جعل منه المنارة التي تأبى أن تكشف في صمت، كل ما يحدث في الجزائر بعد وقبل الاستقلال، ها هو يقف عند أهم الأحداث، وأعقد الموضوعات، مسألة الجمال التي باتت حدثا يصاحب الجزائري، في تقريره الزواج، غير أن "بن هدوقة" حاول أن يزاوج بين الجمال الخلقي والخلقي في صورة يُعري بها القبح، الذي ورثته فرنسا لأجيال الثورة من خونة، ووشاة، وأجيال ما بعد الثورة من مظاهر التفسخ والانحراف والانحلال بل التحريض على سفك دماء بعضهم البعض وهو ما يعنون في الجزائر بالمشاهد الدموية التي شهدتها المجتمع الجزائري في عشرية سوداء اهتز لوقعها العالم بأسره، لتخلف هذه المشاهد، صراعات إيديولوجية محتقنة بين أبناء الشعب الواحد.

كما راح "بن هدوقة" يلوح من بعيد إلى مسألة المثقف الجزائري الذي حاول أن يلبس عباءة الحضارة، وبرنوس التقدم في حين يعري الوجه الآخر للجزائري الرجعي الذي ما زال يحن إلى الشعوذة، وطلب الشفاء من غير الله، أحداث روائية عملت على استثارة دفائن العقول فينا، ليُصاحب كشف هذه الأحداث ، آراء نقدية جزائرية، كان لها الدور الأعظم في توجيه المبدع الجزائري توجيهها يرقى بصورة ناصعة للأدب الجزائري، في رحلة استثنائية إيديولوجية، أردنا كشف أهم الأحداث التي راح يحيل إليها "عبد الحميد بن هدوقة" في رواياته وإحالات اشارية. تطلبت منا البحث فيما وراء النص، لجرد هذه الأحداث وتكشفها كشفا يضطلع بقدرة الفضول النقدي، وبحاسة الرؤيا، ويمكن أن نصوغ ما اعتمدت به الروايات من أحداث كانت لها الحظ في تحولها إلى مسائل وموضوعات لا بد للناقد أن يقف عندها مطولا، وعليه نترصد هذه الأحداث تباعا، لنرسم صورة موضوعاتية عما أراده "بن هدوقة" في إشارته لمختلف المسائل والموضوعات.

1- الثورة الجزائرية:

لم يكن الشعب الجزائري بواقعه المذكور منفصلا عن «الأحداث الكبيرة التي ظهرت في الجزائر متخذة لها من السياسة عنوانا، ومن الوطنية شعارا، مستهدفة راية واحدة زاحفة به نحو تحقيق آماله في الاستقلال والحرية، ولم تكن ثورة نوفمبر إلا الانفجار التلقائي الذي أدى إليه جمود الحركة الوطنية»⁽⁸⁾، لقد كان مصير الجزائر آنذاك «مشدود بالحديد تارة وبالقطن تارة أخرى»⁽⁹⁾، وعليه تبلورت المفاهيم التحررية التي صنعت الثورة وراحت تتوجهها نصرا بزغاير الحرية، لقد تنصلت الجزائر من سياسة استعمارية جائرة وكتب لها أن تكون مضرب مثل يرفع في المحافل الدولية، «لقد تُوجت الثورة بنصر مبین، هذا النصر الذي جاد لنا به

الدهر مرة واحدة في عام أفر 1962، ورغم كل المالبسات فإنه سيبقى خالدا في تاريخ الجزائر إرث ثورة نوفمبر، ثورة ديمقراطية بالشعب وللشعب، كمصدر للسيادة والعدالة الاجتماعية، والمبادئ الإسلامية كإطار للدولة، وتثبيتا للهوية في إطار الانتماء العربي الإسلامي والوحدة المغربية⁽¹⁰⁾، تأتي روايات "بن هدوقة" رغبة جامحة لتجريم الفعل الفرنسي، فجعل من الثورة الجزائرية حدثا مائزا، يتصدى لذلك الإنكار الوجودي، والاعتراف الرسمي بجرائم فرنسا في الجزائر، إنكار يتنافر مع الضمير الذي لزال يرسم أمارات النصر والاستحقاق على جبين الجزائر. تغذت روايات "بن هدوقة" من معين الثورة، وشربت القوة من شلالاتها، لقد فتح "بن هدوقة" عيوننا على الثورة الجزائرية، فكان ذلك المراهق البطل الذي ناشد حبها فكانت رمز العشيقة التي تأتي أن ترضخ إلا لمن تحب وتهوى، فتح عيوننا «على أرض قد مزقتها الخناجر، وعلى شعب أثخنه الجراح، فراحوا في إنتاجهم يجمعون الممزق منها ويستبدلونها بخيوط الشمس، ويضمّدون الجراح، ويحولون دماءها ثمرة حب وأمل، غير أن الشمس كانت أقوى من الشعب الذي ينسجون له تلك الخيوط، والثمرة كانت أعتى من العواصف، فكان ذلك هو مصدر ثورتهم»⁽¹¹⁾.

لقد اجتمع المجتمع الجزائري كل الاجتهاد في دحض مشاريع فرنسا في الجزائر وقاد النضال ضد جبهة تملك من الترسانة ما لا يتصوره بشر، غير أن ثورة الشعب كانت تمضي قدما لبذل «كل غال ونفيس من أجل عزة الجزائر»⁽¹²⁾. والوفاء لأرضها الطيبة الطاهرة. إن إيمان الشعب الجزائري بنصر الله سبحانه وتعالى، كان أكبر من ترسانة فرنسا غدا يوم جديد" تؤكد عليه أكثر من مرة على لسان البطلة "مسعودة". لنستحضر في صورة تمجيدية قولها «التقت عيناى بهذه الآية إيمان راحت رواية " ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون... لو تعرف كم هزني هذه الآية! هزني سرورا إلى درجة أني رقصت بخيالي لأنّ جسي كما ترى- لم يعد يصلح إلا للقبر»⁽¹³⁾. تستطرد قائلة «صرت أدرك كذلك التماهي بين الإيمان والحكم، بين الحدود والحقوق...ألست مسلما؟ كل شيء عند المسلم الحق»⁽¹⁴⁾، وحقه في الدفاع عن أرضه ووطنه بات واجبا اليوم «لا بد من إيجاد وسيلة للدفاع عنه»⁽¹⁵⁾، «كل الأهالي أموات، أخذ منهم المعمرون أرضهم وعرقهم وشرفهم! بشيء لا يصدق العقل، ومع أنه واقع، فرنسا تحتفل بنصرها والمهزومون يدفعون ثمن الهزيمة»⁽¹⁶⁾.

لقد كانت الثورة المجيدة، المنطلق الرئيس الذي أراد "بن هدوقة" بعثه في الأذهان للتذكير، بصمود شعب أعزل، مورست عليه أنواع شتى من التعذيب، هاهو يحي في النفوس، مطالب فرنسا المتكررة التي لا يمكن أن يحيد عنها أحد، ولا أن يرفضها مهما بلغ الأمر مدها، هاهي صورة صادقة داعمة لفكرة التسييس الفرنسي، الذي راح هذه المرة في مناورة خطيرة،

يطلب من الشعب الجزائري الانصياع التام لأوامره، مناورة نقلها لنا "عبد الحميد بن هدوقة" عبر رواية "غدا يوم جديد" عندما جمع القائد «كل أعيان المداشر التابعة لنظره، فأمرهم بأن يأتي السكان إلى الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة للاصطفاف على حفا في الطريق بمناسبة مرور رئيس الجمهورية، وأوصاهم بأن يبلغوا السكان أن الحضور إجباري، وعليهم أن يهتفوا عند مرور موكب الرئيس "تحيا فرنسا أمنا! تحيا فرنسا أمنا!"⁽¹⁷⁾، لقد اجتهدت فرنسا في بث الرعب في قلوب الأهالي، هاهي تصل إلى أبعد نقطة في مخططاتها، وهي ما يعرف بسياسة التجنيد الإجباري الذي فرضته فرنسا على الجزائريين وشدت على معاقبة كل من تسول له نفسه بالرفض أو الهروب.

سياسة افتعلتها لتستفز الجزائريين الصامدين إبان الثورة التي كانت لها من الشعبية ما يحرق فرنسا، ويلهب كيانه «ولعل قليلا من الثورات في العالم المعاصر تصل إلى مستوى الثورة الجزائرية في الشعبية وشمولية النظرة، ولهذا كان على المسيرين للثورة أن يأخذوا هذا المميز البارز بعين الاعتبار في كل موقف من مواقفهم، وليست شعبية الثورة الجزائرية شعاعا يرفع، بل هي حقيقة أثبتتها الأحداث في ميدان المعركة، وشعر بها المجاهد وهو في مواجهة العدو»⁽¹⁸⁾. ف"عبد الحميد بن هدوقة"، وإن كان يصف سياسة فرنسا فهو يعبر عن ما ألح عليه الضمير الجمعي في كشف هذه السياسة وتعريضها، لقد جندت فرنسا في حربها ضد الألمان الكثير من الجزائريين، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

فكرة أنجحت التاريخ، ونشطت الذاكرة في صورة تتطلع لاعتراف فرنسا، وإدراجها في ملف الاعتذار الرسمي لما عانتها الجزائر تحت وطأة مستعمر غاشم، أثر أن يرمي بالجزائر بين العزل في أحوال حرب حارقة، لا حول ولا قوة له فيها. ويمكن أن نستشعر هذه السياسة التجنيدية فيما صدر على لسان الحاج قويدر القهواجي: «فهو الوحيد من جيله الذي شارك في الحرب العالمية الأولى، وكان أن يضيع فيها حياته لولا لطف الأقدار، فقد أصيب في رأسه بإحدى شظايا فنبلة مدفعية، وكان حينئذ مرابطا في خط "درب دام" الشهير... وهكذا عندما انتهت الحرب نال رخصة فتح مقهى جزاء إصابته... صحيح أن الحرب التي خاضها لم تكن حربه، ولكنها خلفت في رأسه أثرا جعلته إحدى ضحاياها تركت في نفسه صورة لتكنولوجيا الدمار التي وصلت إليها أوروبا في ذلك العهد، جعلته يشعر بالحنان على كل من خاض حربا وخرج منها حيا، ويقدر بالخصوص أولئك الذين تركت الحروب على أجسامهم أثارا لا تمحوها الأيام ولا السلام»⁽¹⁹⁾.

تتشابه الأحداث التي لازالت الذاكرة الوطنية تستحضرها بعيد عن الصورة التي رسمها "الحاج قويدر القهواجي" عن كيفية تجنيده، وما خلف له من عاهة جراء هذا التجنيد، نلتقي

بالعمة "حليمة" في صورة تضارع قصة "الحاج قويدر"، غير أنها تحكي عن الشهيد "الحامدي" والد "خديجة" خطيبة "قدور" ابن أخ العمة "حليمة"، بنبرة استذكارية تقول العمة "حليمة" بعدما تنهدت «في نبرة من الحزن: إيه يا بنتي! أعرفه رحمه الله، كان رجلاً! قتل في الحرب، فرنسا تحارب وأولادنا ورجالنا يموتون عليها، في تلك السنة ذهب عشر شبان من شبان الدشرة، منهم المخفي، ذلك الرجل الطيب، الذي بعد ذلك لما عاد من الحرب، أصبح من الرجال المعادين لفرنسا! فرنسا لا ترحم، كل من يريد أن يرفع رأسه تطحنه كالرحى! عشرة شاركوا في الحرب العالمية من هذه الدشرة وحدها! ثلاثة منهم قتلوا، أبو خديجة، واثنان آخران، رحمهم الله، ثلاثة لم يعودوا ولا يعرف أحد عنهم شيئاً، بعض الناس يظنون أنهم بقوا في فرنسا بعد انتهاء الحرب، وأربعة عادوا منهم المخفي الذي قتلته فرنسا. الأخضر بن الصائم، صاحب المقهى، وهو أيضاً من الذين شاركوا في الحرب، جرح في رأسه، قالوا أنهم ركبوا له زجاجة بدل الشظية التي أتلقت جزءاً من رأسه، كيف يعوّض الزجاج رأس بن آدم»⁽²⁰⁾، وكان الروائي يستنطق أيديولوجيا التعويض، التي كانت تتخذها فرنسا أحد مخططاتها في جلب أكبر عدد ممكن من المجندين، وتعددهم مقابل مشاركتهم في الحرب معها ضد الألمان بمنحهم راتب شهري يستفاد منه المشارك أي المجند.

تتواصل الحجة لدى العمة "حليمة"، لتبوح لنا بواقع حربي جليل، لكن هذه المرة على لسان "خديجة" «قالت أُمّي قُتل أبي في بلد بعيد يغطيه الثلج شتاءً وصيفاً»⁽²¹⁾. تعلق العمة: «فرنسا تأخذ أولادنا للحرب، من قتل قتل، ومن عاد تجعله "شامبيطاً" عليه أن يبقى خاضعاً لها، وإلا قتلته في محجر من المحاجر كالمخفي»⁽²²⁾، تتطلع العمة "حليمة" لتصنع صورة الذاكرة مرة أخرى لكن بصوت تحفيزي، لترفع رايات الثورة عالياً، مستنطقة رغبتها في التقرب من هذه العائلة الشريفة- عائلة خديجة بنت الحامدي- لتنال فخر الأنساب فتقول: «إن أصهارك أخيار أبو الفتاة كان من خيرة سكان الدشرة، رحمه الله قتل في الحرب، حكوا عنه أنه كان كالسبع من جهة إلى جهة، لا يخشى رصاصاً ولا موتاً رحمه الله، وأن أحد أخوالها أيضاً كان رجلاً عظيماً قتل برصاصة طائشة»⁽²³⁾.

إن سياسة التجنيس التي فرضتها فرنسا على الجزائريين كانت بمثابة الحل الأوحيد للدفاع عن نفسها، الكل يتذكر الحرب العالمية الأولى التي نشبت بين القوى الأوروبية في 28 يوليو 1914 وانتهت في 11 نوفمبر من عام 1918. حرب مرجعها طالب صربي متطرف عقب اغتياله لولي عهد النمسا الأرشيدوق "فرانز فيردناند" وزوجته في سراييفو عام 1914. ولما كانت فرنسا متحالفة مع روسيا، وكان الزعيم الألماني "بسمارك" قد استفزته سيطرة الفرنسيون الاقتصادية في المغرب العربي، تحول الاستفزاز إلى صراع دبلوماسي ترجع أصوله إلى عام 1906،

ففيه دعت ألمانيا إلى عقد مؤتمر دولي، فلاحظت تحالف لا مشروط بين روسيا وفرنسا، فأرادت أن تستولي هي الأخرى على باريس، فقررت الدخول إليها عبر البوابة البلجيكية وعبر الحدود الفرنسية عام 1914. وكان النصر آنذاك لفرنسا على حساب ألمانيا، فرنسا التي أثرت في دفاعها عن باريس أن تبعث كل الجزائريين تحت اسم الولاء تارة، والقانون تارة أخرى. متناسية في ذلك أن من رجع من هذه الحرب حيا، هو من ألهب فتيل الثورة الجزائرية، وقد مثل "عبد الحميد بن هدوقة" لهذا النموذج بـ "شخصية المخفي" العائد من الحرب العالمية التي كانت فرنسا طرفا فيها هو «الرجل الذي كان عدوا لفرنسا... التحق بالجبل من الظلم»⁽²⁴⁾، كما التحق الأخضر بن الجبالي هو الآخر بالجبل في صورة حاكت، صناعة التاريخ، بألوان المجد والخلود لأرض الأجداد.

هاهو "الأخضر بن الجبالي" يؤكد على جبلية الثورة المجيدة إذ «وجدته يشير إلى الجبل قال لها: أنظري إلى الجبل، أنه عال، أليس كذلك؟ الناس يصعدون إليه إذا أرادوا بلوغ قمته، كذلك نحن حياتنا في دشرتنا صعود»⁽²⁵⁾، يستطرد قائلا: «لو أكون في السماء لكفاني أن أغمض عيني لأجد نفسي هنا في الجبل! أنت وأمثالك لاتفهمون شيئا»⁽²⁶⁾ استذكار نتلمس على إثره، جبال الأوراس، جبال خراطة... وغيرها من الجبال التي مهدت لثورة شعب أعزل، عزاءه الشهادة في سبيل الله من أجل الوطن. عزاء جسّمه "عبد الحميد بن هدوقة" في شخصية "أب الجازية" بنت شهيد الجزائر الذي «قتل بألف بندقية، لم يكن شخصا كان شعبا، كلهم يعرفون متى استشهد، لكنهم لا يعرفون قبره، لم يدفن في الأرض، دفن في حناجر الطيور»⁽²⁷⁾، لقد اهتم "بن هدوقة" في هذه الشخصية «بإظهار التضحيات الكبيرة التي أدتها إلى وطنها»⁽²⁸⁾، وهي تضحيات تتجدد هذه المرة في شخصية "المخفي" الذي جعلته ابنته "مسعودة" أسطورة، فنقلت لنا أحداثها في قولها: «لا يولد الإنسان إلها ولا نبيا ولا بطلا ولكن قد يصير كل ذلك إذا تقاطعت الصدف في الوقت المناسب في نقاط معينة وفي مكان معين (...) أحدثك عن الأساطير التي بناها الناس حول أبي، أقول أساطير، ولكنها قد تكون حقائق مرئية: "المخفي بن المرباط: رأسه أخضر، قلبه أحمر، لسانه أسمر»⁽²⁹⁾.

لقد أخذت "مسعودة" من قاموس الألوان، ما ترصع به إيديولوجيا الثورة الجزائرية المجيدة التي رُسمت معالمها في الجبال والأراضي بلون أخضر، يناشد النضج العقلي والوعي التام بضرورة الثورة، كما تحرقت القلوب شوقا لرؤية هذا الحلم- حلم الاستقلال والحرية- واقعا تحفه قوافل الشهداء التي تتقاطر دما جثثها من كل جهة، والذي يزيد الصورة إشعاعا لون السمرة، الذي بات الخلاص الوحيد لبشرة الجزائري العربي الذي احترق بأشعة شمس، علتة في ذلك أنه هائم للبحث عن الثوار، أو التعجيل في جلب الأسلحة، هاهو المخفي باع «كل

ما يملك، نظم جماعات مسلحة في الجبال تختطف أموال الأغنياء لاقتناء السلاح لذلك قتلته فرنسا، وأشاعت أنه قتل في حادث»⁽³⁰⁾، كيف لا تقتله فرنسا؟ «وهو دائما، الذي يجمع الرجال الشجعان حوله ويدبرهم وينظمهم، لم يكن متهورا أو مندفعاً دون حساب فحينما يجد الثغرة في صفوف العدو يندفع بكل قوته ليحقق الانتصار تلو الانتصار، يجمع بين العقل والصمود الذهني والبدني والفراسة الحربية»⁽³¹⁾.

يعيش ثوار روايات "بن هدوقة" ثباتاً على مبدأ واحد دائماً، وهو المقاومة وحمل السلاح، وهي أسمى دلائل الصمود، كانوا رجال صناديد، خاضوا صراعاً ضد الكفر وضد المقتصب الغاشم، مرجعيتهم في ذلك أن تحرير الأرض لن يحققه لهم أحد، على أكتافهم فقط ينهض بناء الحرية.

لقد شكلت «الثورة الشاغلة» الذي يتصدر شواغل هذا الأديب، لتمثل الحالة المتمكنة منه، والسؤال المؤرق لفكره ووجدانه في آن واحد، فكان أن صارت البؤرة/المركز لكتابات السردية، والمرجع الأساس، لأشكال حكيمة»⁽³²⁾، لتصبح الثورة الجزائرية على وجه الخصوص حدثاً آمناً بصيرورة الوعي عبر صيرورة وجوده، لقد شهدت روايات "بن هدوقة" اشتغالا مكثفا للذاكرة التاريخية، التي راحت تسترجع ذلك التراكم الفكري الذي شهدته تاريخ الجزائر إبان الثورة.

مما لا شك فيه أن فرنسا لم تدخر جهداً في إسقاط الهوية الجزائرية الإسلامية لتحاول طمسها والتفكيك بها، هاهو "بن هدوقة" يسترجع إيديولوجيا هذا الطمس، الذي خصصه طمسا دينيا، يحاكي العداء الذي تكنه فرنسا للإسلام وللمسلمين، تشكل هذا الإسلام في الرواية عندما بات "حلم الحج" موضوعاً رئيسياً، استنطق صبر الحاج أحمد ومسعود، توازي الحج عندهما مع الحلم «لعلك أنت الحرمان الذي عاناه كل حالم! الحلم الذي سدت أمامه الآفاق فانحبس في صدري»⁽³³⁾، يستنكر الحاج أحمد كعادته هذا الانحباس فيقول «هم لا يعرفون إنهم هم، ونحن نحن»⁽³⁴⁾.

2- الحج ومبرراته:

لقد اجتهد "بن هدوقة" أيما اجتهد، في التخفي وراء موضوع الحج ومبررات منعه غير أننا أثرنا الوقوف عند هذه المسألة لتعرية الموقف العدائي الفرنسي اتجاه الإسلام والمسلمين، يأتي على لسان مسعود والحاج أحمد، ملفوظ "الحج" مقترباً بالحلم، لقد «كان الحج في الماضي حلماً، مناله صعب، الحاج أحمد أنزل من على ظهر الباكسة هنا في مرسى الجزائر، فكان ذلك مأساة حياته، وكان كذلك سبب حصوله على لقب الحاج! كان الناس ينادونه الحاج أحمد

لا ترويحاً عليه وإنما صادقين! الآن زال كل ذلك صار الحج في متناول الأذرع الطويلة التي تستطيع "حماية الحرمين" ولو كانا صحابها من أهل الصين»⁽³⁵⁾.

إنّ الحج بوصفه ركن من أركان الإسلام، «وفرض عين على كل مسلم قادر مرة في العمر، فقد عملت الإدارة الفرنسية على منعه باستمرار ولقد عللت ذلك- إطار المنع- بالجانب الصحي، غير أن حقيقة الأمر، كانت تكمن في الأبعاد السياسية التي كانت تنظر للحج من خلالها، فمنذ البداية توجست الإدارة منه خطراً، ونظرت له بعين الريبة، فكانت النظرة السلبية للحج هي الغالبة في قاموس الإدارة، عملت الإدارة بآلية الرقابة منذ البداية لمتابعة حركات وسكنات وأنفاس الحجاج هناك، خوفاً من النشاطات المحتملة أن يقوموا بها، كما قامت بعدد الدراسات عن الحج وآثاره على كل سكان المستعمرات من خلال مهمات خاصة في هذا الجانب»⁽³⁶⁾، راحت فرنسا الاستعمارية تتأقلم شيئاً فشيئاً مع مطالب الجزائريين الحجاج، فآثرت أن تلمع صورتها بالسماح للأقلية منهم فقط، بممارسة هذه الشعيرة، وكان ذلك ليس حبا للجزائريين بقدر ما كان هدفاً تنشده، لتحسن من صورتها في دول المشرق العربي فأظهرت على إثر هذا الهدف احترامها للمزعم للدين الإسلامي بالجزائر.

غير أن فرنسا اجتهدت في جعل هذا الهدف براغماتي بامتياز، فراحت تشتترط على الحجاج شروطاً تعجيزية، فرضت من خلالها أتاوات وضرائب بهدف إرهاب الجزائريين مالياً والعدول عن القيام بهذه الشعيرة الإسلامية، أما من كانت له القدرة في دفع الإتاوة لها، حرمتها تحت أسباب خيالية، نستحضر منها ما جاء على لسان مسعودة: «أخاف الموت اختناقاً في غار مئى، إن الحجاج كثيرون على ما سمعت، كثرة البشر لا تعني التطور إلى الأفضل في الحج...إنما تعني اختلال في التوازن تشبه أحياناً التكاثر السرطاني، كثرة الحجاج هي التي قتلت حجاج غار مئى!»⁽³⁷⁾.

لقد بررت فرنسا عدم السماح للحاج "أحمد" بالحج، اللعنة التي أصابته «صحيح بعض السنة السوء أشاعوا عنه أن أمه دعت عليه ذات يوم وقد أساء إليها، بخسران العاقبة في كل أمر يتناوله، ودعاء الوالدين، كما هو معروف، لا يختلف، قالوا: عندما تزوج اعتزل بيت الأسرة، لينفرد بحياته الجديدة مع زوجته، كان هو أكبر إخوته، لكن زواجه أفقده الحنان وروح المسؤولية إزاء ذويه الصغار، لم يُقم وزناً لدموع أمه، كان يشتري اللحم من السوق كل جمعة، ويشويه هو وزوجته في فناء الدار لتملا رائحته فضاء النفوس المحرومة (...) بلا حياء من أمه وإخوته، ولا خشية من أعين مشتاقة إلى اللحم!»⁽³⁸⁾، هذا ما نقله السارد على لسان فرنسا، غير أنه لا يتوان في رد التهمة عن أصحابها.

يمرر لنا "بن هدوقة" تصحيحا مستعجلا، لما قالتها فرنسا من مبررات حول عدم السماح للحاج أحمد بالقيام بحقه المشروع والمشروط، فيقول على لسان مسعودة «لكن ألسنة السوء تقول الكثير: تنسج "حقائق" من خيالاتها ورغباتها وحيفها»⁽³⁹⁾، «الحاج أحمد خائف على الإدارة التي لا تحترمه كما ينبغي أن يحترم، أنه الحاج الوحيد في هذه القرية منذ مطلع القرن، لكن حجه لم يتجاوز الباخرة، قيل له: أنه زائد على العدد الذي تقله الباخرة»⁽⁴⁰⁾. لقد أترف الحاج أحمد كل الأوراق الراحلة التي تضعها الإدارة الفرنسية لتمنع الجزائريين من الحج، غير أن القوة الفرنسية كانت أعنى من فكر الحاج أحمد الذي «جمع المبلغ الذي دفعه في الحج فرنكا، فرنكا، امتنع حتى على إعطاء ابنه منه فرنكات ليذهب إلى إحدى الزوايا يدرس العلوم»⁽⁴¹⁾، ومع ذلك لم يصل إلى "الحجر الأسود" لكنه في نظره ونظر كل الناس، أمثاله أنه حاج، ما ذنبه هو إن كانت الباخرة أصغر منه؟! «النية أسبق من العمل، لا أحد ينكر ذلك»⁽⁴²⁾.

نلتبس مبرر صغر حجم الباخرة، عندما خاطبه الشرطي الفرنسي بصوت تهكمي «ديصاند... كل شيء ملتصق ببعضه، الناس فيها زحام كالطواف حول الكعبة»⁽⁴³⁾ يرد عليه الحاج أحمد «أنا عرفت، عندما عدت من "الحج" قبل أن أحج! لكن الأعمال بالنيات»⁽⁴⁴⁾، رُفض الحاج أحمد: لأنهم اشتموا فيه رائحة الشهامة والوطن والغيرة عن شرفه وعرضه، «عندما اقتادوا قدورا وصاحبه هل استطاع أحد اعتراض سبيلهم؟ هل تحرك ليقول لهم: إنها خصومة عابرة؟ كلهم رأى المرأة وحدها على الرصيف، حائرة لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا، بل لم يقدروا حتى على الاقتراب من المرأة، خشية أن يدعوا للاستنطاق من طرف الدرك، لولا الحاج "أحمد" الذي كان ضميره وتوكله على الله أكبر من كل درك العالم»⁽⁴⁵⁾. كيف تمنح فرنسا رخصة الحج لرجل أثر أن يودع "مسعودة" "أمانة" في بيته، تحت حماية زوجه "يمينة" الأمانة، «سوف يذهب مهما كلفه ذلك، إن الواجب يدعوه للقيام بذلك، ولو أن الدرك لا يعرفونه كما من حقه أن يعرف، بل إنهم يشكون في أمره»⁽⁴⁶⁾.

اختمرت الشكوك في أذهان الفرنسيين القائمين على السلطة العليا، ودعت لمراقبته وابنه «فالحاج أحمد "خوني" من أتباع الطريقة الرحمانية، فإتباع هذه الطريقة فيهم الكثير ممن يحلمون بمحاربة فرنسا وإخراجها من هذه الأرض»⁽⁴⁷⁾، إن صورة الرفض الفرنسي لقيام هوية جزائرية إسلامية تتجدد كل مرة، وهماي تستنطق أبرز ظاهرة عرفت الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس المعتقد الإسلامي، بطرحه لمجموعة من الأفكار الرجعية كإشاعة الشعوذة والسحر في مرحلة أولى، وتنشيط الفكرة القائمة على زيارة الأولياء الصالحين

والتقرب لهم، بإقامة "الزردة"، وذبح القربان، في صورة فولكلورية تتجدد كل عام، كمرحلة ثانية.

3- الشعوذة والسحر:

جهد الإنسان دوماً واجتهد «في كشف حقيقة العالم والحياة البدايات فهو يستطيع مثلاً استجلاب الأمطار- عن طريق ممارسات سحرية معينة- كما يستطيع شفاء الأمراض، والقضاء على الأعداء، وقد تجمعت لديه عبر القرون، مجموعة من القواعد تؤلف، في مجموعها، سفراً متكاملًا للسحر»⁽⁴⁸⁾.

إنّ الفكر الإنساني في وثبته الكاشفة عن مبررات وجود مثل هذه المعتقدات والظواهر يرجعه "جيمس فريزر" "G.Friesire" لما يسمّى «بالإيمان النظري في وجود قوى أعلى وأسمى من الإنسان»⁽⁴⁹⁾. رأى هذا الأخير من الضروري استغلال هذه القوى في تحقيق المصالح، وهو ما عولت عليه فرنسا، عندما شجعت "العزّاف"، أو ما يسمّى في العرف الاجتماعي الجزائري "بالشواف"، فكرست لدى المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار، ذهنية الشعوذة، وعقلية الاحتكام "للطالب" الذي يحمل بذور الشفاء وإكسير الحياة، لمجتمع راهن في لحظة ما على إسلامه وعقيدته من خلال «ممارسة غير معقولة أو شعيرة اجتماعية وكثيراً ما تتحول إلى محاور رئيسية»⁽⁵⁰⁾ تعاد كل ما احتاج المرء إليها ليحاول أن يجدد العهد معها.

تتجسد هذه الممارسة من نوعها الخاص في رواية "ريح الجنوب" وتحديدًا بطلب من عابد بن القاضي والد نفيسة، عندما أغمي عليها «كانت أمها هي التي أرسلت إليه الطفل عبد القادر ليخبره (...)» أنها لما دخلت إلى حجرة نفيسة وجدت الفتاة طريحة الفراش غائبة عن الوعي⁽⁵¹⁾، لقد حضر الوالد لكن حضوره أوحى له، بأن حالة ابنته تستوجب استقدام "الطالب" وقد ساندت هذه الفكرة الوالدة "خيرة"، مؤكدة بأن «ذلك هو الصواب»⁽⁵²⁾ غير أنها تساءلت عن خبرة الطلبة فأجابها "بن القاضي" «الشيخ حمودة يكتب جيداً قلّ من لا يجد الشفاء على يديه»⁽⁵³⁾. تتجند العقلية المتدثرة بعباءة الجهل والتخلف، لتصنع مشهداً روحانياً نصوغه فيما يلي: «فتح الشيخ حمودة مخطوطاً ضخماً والتفت إلى ابن القاضي سائلاً:

- ما اسمها؟

- فأجاب:

- نفيسة.

- وأمها؟

- خيرة.

وأخذ الشيخ حمودة يكتب حروفا وأرقاما متتالية ثم ينزلها في جدول⁽⁵⁴⁾. مخمس وهو يتمم (...) وأخيرا يلتفت إلى ابن القاضي ويقول له: إن جَنِيًّا من سلالة ابن الأحمر أصابها عندما تخطت مكانا به ماء.

وقال ابن القاضي:

هل حالتها خطيرة؟

فأجاب الشيخ الذي علمته السنون الطويلة التي عاشها:

لا شك في ذلك.

فقال "ابن القاضي" وقد فهم أن الشيخ يرى أن معالجة الفتاة تقتضي عملا كبيرا: أنت صاحب الكلمة في هذا المقام، كل ما تراه وتشير به ننفذه، المهم بالنسبة إلينا هو شفاء الفتاة ليس إلا.

فقال الشيخ حينئذ في استبشار واغتراب:

تجب «العزيمة» النوع من الرق المعقدة⁽⁵⁵⁾.

يتساءل الكثير منا عن طقوس إقامة هذه العزيمة، تساؤلا يأخذ الفرد إلى عالم الروحانية والشعوذة، وعليه يمكن أن نلخص هذه الطقوس التي تؤكد صحة العزيمة في المراحل الآتية:

- 1 اختيار معزة سوداء لذبحها.
 - 2 سلالة ابن الأحمر تشتترط في خروجها من الإنس إراقة الدم.
 - 3 إحضار محبس من جمر، متقد.
 - 4 أخذ الشيخ مخطوطة الأسود الضخم حتى عثر على ورقة، بها صورة هيكل بشري، ووضعها بجانبه.
 - 5 أخذ ورقة أخرى بها دوائر كبيرة ملونة.
 - 6 إحضار الذبيحة، وتقسيمها إلى نصفين.
 - 7 النصف الأول يوضع فوق الجلد، والنصف الآخر لا يهمه في شيء.
- في المراحل الموالية ينتقل "الطالب" من طقوس الشعوذة إلى طقوس السحر التي يمكن ترجمتها في المراحل الآتية:
- 1 إخراج كيس صغير به عقاقير مختلفة.
 - 2 وضع جزء منها في النار، وأخذ الورقة التي بها صورة الهيكل البشري فوضعها على جبين نفيسة، وأمر الأم أن تمسكها.

- 3 رفع الورقة الثانية التي بها صورة الدائرة الملونة.
 - 4 الشروع في القراءة... فقرأ بصوت واضح ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: 82].
 - 5 قراءة سورتي المعوذتين.
 - 6 قراءة آية الكرسي.
- ننتقل الآن إلى مرحلة "العزيمة" والشروع فيها عبر المراحل الآتية:
- 1 بصوت مرتفع «أين ابن الأحمر، أين ابن الأزرق، أين ابن (...) أتوني جميعا بجنودكم وخيولكم، ومحلاتكم...»⁽⁵⁶⁾.
 - 2 التمتمة بكلمات لا يفهمها أحد، وبين الفنية والأخرى، يضع البخور^(*) في النار، ويعيد بوضوح نداءاته: «أين ابن الأحمر، أين ابن الأزرق»⁽⁵⁷⁾.
 - 3 «يدخل في التمتمة، وهكذا فترة من الزمن، ثم خاطب الجني وهو متجه إلى الفتاة: «أخرج الآن لقد تم مرادك وأحضرت لك ما تحب أخرج ولا تعد إلى هذه المخلوقة من اليوم...» ثم يشير إلى الأم أن تناوله الورقة التي بها صورة الهيكل البشري ويكرر ندائه إلى الجني: «أخرج ولا تعد، أخرج وإلا أحرقتك بالنار، تحركي أنت أيتها الفتاة وعلى المراد يخرج إن الدم ينتظره (...) تحركت الفتاة في فراشها وسعلت، فابتسم الشيخ وقال مخاطبا المراد: «إنَّ الدم في المراح ينتظرك أنت ورفاقك القادمين من السماوات العلى والأراضي السفلى أسرع»⁽⁵⁸⁾، أما عن هذه المرحلة الأخيرة فتسمى بالنشرة... وتم كل شيء على ما يرام، وكتب الشيخ "حجابا" للفتاة كما كتب في جزء من ورقة، كتابة غير مفهومة وقسمها إلى سبع وريقات وناولها مع الحجاب إلى الأم وهو يقول: تبخر (نفيسة) بورقة كل ليلة مدة سبعة أيام مع شيء من الجاوي، أما الحجاب فتضعه في جلد أحمر وتعلقه، والله الشافي»⁽⁵⁹⁾.
- إنَّ المتتبع لردِّ فعل العائلة يجزم، بأن فكرها بات موكل بالشعوذة، وبذل الجهد، في دعم روحانيات، أقل ما يقال عنها أنها من المحرمات شرعاً، لقد «شكرته الأم وشكره الأب على خدمته، وكنا نعتقد أن شفاء البنت بات أمراً مقضياً بعد أن تمكن الشيخ من إخراج المراد الذي ضربها»⁽⁶⁰⁾.
- يتوقف ابن القاضي هنية أمام، ما عمله الطالب الذي استقدمه ليجزل له العطاء «لقد أخرج ابن القاضي من جيبه ورقة بخمسين دينارا فناولها الشيخ فدعا هذا بالشفاء للمريضة، وأخذ كتابه والجلد الذي به نصف الشاة وقام داعياً بالشفاء مرة أخرى»⁽⁶¹⁾.

لقد لامس "بن هدوقة" موضوع الشعوذة والسحر في رواياته، ليكشف عن الفكر الروحاني الذي ورثته فرنسا للجزائريين الأميين على وجه الخصوص، وهي مسألة أثارها الروائي، محاولاً بعث الصورة الحقيقة التي جمدت الفكر، وكسرت مالا يتقبله عقل بشري. كما أشار "بن هدوقة" في إشارته لما أغشى على "نفسه" كحدث هام، هز العائلة إلى مسألة لها من الأهمية بمكان، وهي الاعتقاد بالشعوذة التي أخرجت بطلة الرواية من موت محقق لأنها آذت الجن، وعليه يجدر الوقوف عند هذه المسألة لتبيّن وجه الصحة فيها إيديولوجيا.

4- طرد الجن:

لقد كون الإنسان لنفسه، منذ أقدم العصور معتقدات خاصة، ربطها بالجانب الروحاني، وقد كان سعيه في كشف هذه المعتقدات سعيًا جادًا، نتيجة تفكيره السليبي تارة إذا ربطها بالشعوذة والسحر، والإيجابي تارة أخرى- إذا ربطها بالعقيدة وضرورة الإيمان بوجودهم. لقد شجعت مجموعة من العادات والتقاليد مثل هذا الاعتقاد الروحاني بضرورة إخراج الجن من الجسد الذي تلبسه.

ما يتوافق مع وجه الشرع في هذه المسألة، أن الجن يتخذ الأماكن الخالية مستقرا له بحيث لا يغشاها أحد، ولا يقترب منها إنسان، ولا ينكر عاقل هذه المسألة، بل يؤكد على أن هناك عالم خفي يوازي عالمنا الواقعي، يتمثل عالمهم بوجود كائنات خصّها الله بالاختفاء، فهي لا تظهر للبشر، وإذ رأتها الأعين البشرية تظهر لها في أغلب الأحيان صوراً حيوانية، يكون الجن أسراً وعشائر مثل البشر، تتزاح، وهي قادرة على القيام بأعمال صالحة تسعد الإنسان، كما أنها تفعل العكس، بل تحطمهم إن صاغتهم الأقدار في وجهها إن شاءت، وقد وصل تخوف البشر من الجن إلى عدم ذكرها بالاسم بل الإشارة إليها بمجموعة من الموصفات، وأبرزها في العرف الجزائري تداولاً هي "هاذك الناس"، «نظراً لما يعتقده الناس، أنه لا ينبغي أن نذكر الجن باسمها المجرد، خوفاً من إيذاها لأنّ الاعتقاد ارتسم في شرها أكثر من خيرها، وحتى يسلموا من إيذاها لابد أن يذكروها باسم فيه شيء من الاحترام والتستر مثل قولهم العالم المخفي»⁽⁶²⁾.

استنطق "بن هدوقة" هذه القضية الإيديولوجية التي تحاكي صراع الأنا (الواقع) مع الآخر (المخفي)، وأي "أنا" هذه؟ التي لا تفرق بين ما هو حق وما هو باطل، لقد فصل الروائي بين أنا (الواقع) الجاهلة، وأنا (الواقع) المثقفة المتعلمة، حيث تظهر تيمات المتعلمة المتمدنة الطالبة "نفسه" والشيخ المشعوذ "حمودة" ثنائية تتفرد بعقلية الأنا المتعلمة والآخر المحاول طمس الهوية.

ومن خلال ما توقفنا عنده من معطيات تاريخية استنطقت راهن الواقع الجزائري من زوايا الماضي، فكشفت لنا أن الثورة الجزائرية سجيت بعدد المشاهد التي تبرز مرارة الواقع وقوة التحدي، وعلى إثرها ظهرت عديد الاختراقات الفرنسية التي تجر الشعب على الانصياع عنوة لتعليماته كفرض إتاوات باهظة الثمن على الحجيج محاولة طمس الهوية العربية الإسلامية من خلال ما استجد في الساحة الجزائرية آنذاك من إقامة الزردة بمختلف مراحلها، وتتبع منابر الأولياء الصالحين.

ومهما كان اعتماد "عبد الحميد بن هدوقة" على عناصر الماضي الجزائري فإن رواياته، تحرك ذلك الماضي، لتضع صورة الحذر من المستقبل فتمجد الأنا الجزائرية أينما حلت.

قائمة المصادر والمراجع:

1. - عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 06.
2. - عبد الله العروبي: مفهوم التاريخ، (الألفاظ والمذاهب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، ج1، 1997، ص 11.
3. - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط3، ج1، ص 291.
4. فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 9.
5. محمد عبد الحميد خليفة: جبروت الرواية (دراسات تطبيقية في قدرتها الاستشراقية وتقنياتها الفنية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2014، ص 07- ص 10.
6. محمد صابر عبيد: مغامرة التجنيس الروائي، سؤال الجنس والنوع، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2015، ص 146.
7. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر، باب الخضراء، تونس، (دط)، 1985، ص 25، 26.
8. إبراهيم مياشي، اقتباسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 198.
9. أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 145.

10. عبد الحميد بن هدوقة: غداً يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر، 1992، ص303.
11. محمد مصاييف: النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الطبع المتعددة (ورشة أحمد زبانة)، الجزائر، 1983، (د. ط)، ص 15.
12. عبد الحميد بن هدوقة: الجازية والدرويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص16.
13. نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين علي أحمد بكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 252.
14. نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين علي أحمد بكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص252.
15. بوشوشة بن جمعة: الذاكرة بين صيرورة الوعي ومساءلة الإيديولوجيا في رواية خويا دحمان (جامعة قرطاج تونس)، مداخلة ضمن الملتقى الدولي السادس عبد الحميد بن هدوقة للرواية، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج، ط6، 2003، ص 142.
16. أمل مبروك: الأسطورة والإيديولوجيا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص14.
17. جيمس فريزر: الغصن الذهبي "دراسة في السحر والدين"، ترجمة: أحمد أبو زيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج1، 1998، ص174-175.
18. عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، 1983، ص35.
19. عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971، ص209.
20. ثريا التيجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف نموذجاً، دار هومة، الجزائر، (د. ط)، ص44.

الإحالات والهوامش:

- (1) -عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 06.
- (2) -نفس المرجع، ص05.
- (3) -عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، (الألفاظ والمذاهب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، ج1، 1997، ص 11.
- (4) -ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط3، ج1، ص 291.
- (5) - فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 9.
- (6) - محمد عبد الحميد خليفة: جبروت الرواية (دراسات تطبيقية في قدرتها الاستشراعية وتقنياتها الفنية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2014، ص07-ص10.

- (7) - محمد صابر عبيد: مغامرة التجنيس الروائي، سؤال الجنس والنوع، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص146.
- (8) - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر، باب الخضراء، تونس، (دط)، 1985، ص25، 26.
- (9) - نفس المرجع، ص26.
- (10) - إبراهيم مياشي، اقتباسات من تاريخ الجزائر، دارهومة، الجزائر، 2010، ص198.
- (11) - أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص145.
- (12) - مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954-1962)، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1998، ص72.
- (13) - عبد الحميد بن هدوقة: غداً يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر، 1992، ص303.
- (14) - غدا يوم جديد، ص 302-303.
- (15) - غدا يوم جديد، ص271.
- (16) - غدا يوم جديد، ص270.
- (17) - غدا يوم جديد، ص249.
- (18) - محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الطبع المتعددة (ورشة أحمد زبانه)، الجزائر، 1983، (د. ط)، ص 15.
- (19) - غدا يوم جديد، ص161.
- (20) - غدا يوم جديد، ص113.
- (21) - غدا يوم جديد، ص114.
- (22) - غدا يوم جديد، ص114.
- (23) - غدا يوم جديد، ص141.
- (24) - غدا يوم جديد، ص114-115.
- (25) - عبد الحميد بن هدوقة: الجازية والدرائش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص16.
- (26) - الجازية والدرائش، ص15.
- (27) - الجازية والدرائش، ص24.
- (28) - نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين علي أحمد بكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 252.
- (29) - غدا يوم جديد، ص103.
- (30) - غدا يوم جديد، ص 103.
- (31) - نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين علي أحمد بكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص252.

(32) - بوشوشة بن جمعة: الذاكرة بين صيرورة الوعي ومساءلة الإيديولوجيا في رواية خويا دحمان (جامعة قرطاج تونس)، مداخلة ضمن الملتقى الدولي السادس عبد الحميد بن هدوقة للرواية، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريج، ط6، 2003، ص 142.

(33) - غدا يوم جديد، ص77.

(34) - غدا يوم جديد، ص94.

(35) - غدا يوم جديد، ص180.

(36) - الإدارة (Histoire) NBia KARim, 22 juin 2015 (<http://hdl.handle.net/BraHmani.Mohamed-El-Amine/Ould>) - الاستعمارية والأوقاف وإدارة شؤون الحج في الجزائر (1830-1962).

(37) - غدا يوم جديد، ص180.

(38) - غدا يوم جديد، ص 50-51.

(39) - غدا يوم جديد، ص51.

(40) - غدا يوم جديد، ص50.

(41) - غدا يوم جديد، ص50.

(42) - غدا يوم جديد، ص50.

(43) - غدا يوم جديد، ص 48.

(44) - غدا يوم جديد، ص48.

(45) - غدا يوم جديد، ص 49.

(46) - غدا يوم جديد، ص 50.

(47) - غدا يوم جديد، ص50.

(48) - أمل مبروك: الأسطورة والإيديولوجيا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص14.

(49) - جيمس فريزر: الغصن الذهبي "دراسة في السحر والدين"، ترجمة: أحمد أبو زيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج1، 1998، ص174-175.

(50) - عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، 1983، ص35.

(51) - عبد الحميد بن هدوقة: ربح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971، ص209.

(52) - ربح الجنوب، ص210.

(53) - ربح الجنوب، ص210.

(54) - ربح الجنوب، ص211.

(55) - ربح الجنوب، ص210-211-212.

(56) - ربح الجنوب، ص219.

(*) - إن معظم السحرة يصطنعون البخور في تجاربهم وممارساتهم الشعوذية فيملتون من حولهم المكان نارا ودخانا، لا يكاد أحد من السحرة يتجاوز فكرة البخور، سواء لعمل السحر، أو لإخراج الجن، أو إشفاء المسحور. للاستزادة يراجع:

عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السري، ص95.

(57) - ربح الجنوب، ص213.

(58) - ربح الجنوب، ص213.

(59) - ربح الجنوب، ص 213.

(60) - ربح الجنوب، ص 213.

(61) - ربح الجنوب، ص 214.

(62) - ثريا التيجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف نموذجا، دار

هومة، الجزائر، (د ط)، ص 44.